



معرف الكائن الرقمي: (DOI)10.54239/2319-024-002-004

منهج الذَّهَبِيّ في تدوين التاريخ الإسلامي من خلال كتاب " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام "

Al-Dhahabi's Methodology in Recording Islamic History
Through His Work of Tarikh al-Islam
wa Wafayet al-Mashahir wa al-A'lam

ط.د.عابد حميان *

مختبر تاريخ الجزائر/ جامعة وهران 1 (الجزائر)

abedham14@gmail.com

د. قاسم صادق.

جامعة أحمد بن بلة وهران 1 (الجزائر).

kacemsadeck@gmail.com

تاريخ القبول: 2025/11/23

تاريخ الإرسال: 2025/08/04

الملخص:

يُعتبر الحافظ شمس الدين الذَّهَبِيّ (ت: 748هـ/1347م) من أبرز المؤرخين المسلمين الذين أسهموا في تدوين التاريخ الإسلامي بمنهج علمي دقيق يجمع بين الرواية والتحليل، ويمثل كتابه "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" من أعظم المصنّفات التاريخية الموسوعية التي تناولت حقباً واسعة تمتد من ظهور الإسلام إلى القرن الثامن الهجري، وهو مِرْآة صادقة لفكره التاريخي ونموذج رفيع في نقد الروايات والأخبار. يتناول هذا المقال منهج الذَّهَبِيّ في تدوين التاريخ من خلال تحليل بُنْيَتِهِ العامّة، وأسلوبه في عرض الحوادث المتسلسلة و"تاريخ مشاهير الوفيات والأعلام"، وانتقائه للمرويات، ومنهجه النقدي في الحكم على الشخصيات. كما يتتبع مصادره الأساسية، مُبرزاً مدى التزامه بالتحقيق والتدقيق. وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف

*ط.د.عابد حميان، جامعة وهران 1 (الجزائر)



عن خصوصية منهج الذَّهَبِيِّ، وبيان مكانة تاريخ الإسلام في تطوُّر الكتابة التاريخية الإسلامية، وإيضاح أثره البالغ في المؤرخين اللاحقين.

الكلمات المفتاحية: الذهبي، التدوين، التاريخ الإسلامي، الأعلام، المغرب الأوسط، التراجم، التراث الإسلامي، العلماء.

ABSTRACT :

Al-Hafiz Shams al-Din al- Dhabi (D.748 AH / 1348 CE) is regarded as one of the most prominent Muslim historian who contributed to Islam historiography through a precise and analytical method that combined narration and critical evaluation. His encyclopedic work Tarikh al-Islam is one of the most comprehensive historical sources covering a broad period from early Islam to the 8th century AH. This article examines al-Dhahabi's historical method by analyzing the structure of his work, his narrative approach, his selection of report, and his critical stance toward transmitters and events. It also highlights his major sources and his commitment to accuracy and verification. The study aims to shed light on the uniqueness of al-Dhahabi's method, the significance of Tarikh al-Islam in the development of Islam historiography, and its impact on later historians.

Keywords: Al-Dahabi, Historical Writing, Islamic History, Notable Figures, Central Maghreb, Biographical Entries, Islamic Heritage, Scholars.

- مقدمة:

اهتمَّ علماء المسلمين بعلم التاريخ، وأولوه عناية بالغة، فتنوّعت مقاصدهم واهتماماتهم العلمية؛ فدوّنوا تاريخ الدول والبلدان والأقاليم والعمران والتنظيمات، كما ألفوا في تراجم الأعلام وسيرهم، وفي أخبار القُصَاة والوُلَاة. وأسهم هذا التنوّع في إثراء المعرفة التاريخية، وتشكيل تراثٍ زاخر بالمصادر والروايات، غير أنّ القيمة العلمية لهذه المؤلفات تباينت تبعاً لمصادرها ومنهج مؤلفيها في التَّحقيق والتَّنقد.

ومن بين هؤلاء المؤرخين يَبْرُزُ الحافظ شمس الدين الذَّهَبِيُّ بوصفه واحداً من أبرز أعلام الكتابة التاريخية في الإسلام في القرن الثامن الهجري في بلاد الشام (دمشق)،



إذ جمع بين الدِّقَّة و التَّوْثِيقِ والوَعْي التَّقْدي، مستنداً إلى المنهج الحداثي القائم على الجرح والتعديل، فكان لعمله أثرٌ بيّنٌ في تطوّر منهج التدوين التاريخي عند من جاء بعده.

1. حَيَاةُ الذَّهَبِيِّ وَآثَارُهُ الْعِلْمِيَّةُ:

لقد جَمَعَ الذَّهَبِيُّ سيرةً لنفسه وهي في عداد المفقودات، كما جمعها له أيضاً أبو عمرو محمد بن عثمان بن يحيى المرباط، المتوفى سنة (752هـ/1351م). قال السخاوي في "الْجَوَاهِرِ وَالذَّرَرِ" وأبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عُثْمَانَ الذَّهَبِيُّ جمعها لنفسه وكذا جمعها أبو عمرو محمد بن عُثْمَانَ بن المرباط، لكنه أساء الأدب فيها بما لا يُقْبَلُ منه " (السخاوي، 1419هـ/1999م). وقال ابن حجر في الذَّرَرِ الكامنة في ترجمة ابن المرباط: "ورأيت بخطه جزءاً خَطَّ فيه على الذَّهَبِيِّ، وترجم ترجمة أفرط في ذمِّه فيها، وتَعَقَّبَهَا برهان الدين بن جماعة على الهامش، والله يرحم الجميع (العسقلاني، 1392هـ/1972، صفحة 67)

1.1. حَيَاةُ الذَّهَبِيِّ:

لقد نشأ الحافظ الذَّهَبِيُّ في بيئة علمية مُهَيَّاةٍ للمعرفة، فكان ميّالاً منذ صغره إلى طلب العلم وحبّ القراءة، ممّا جعله يقبل عليه بشغف وإخلاص. تلقى تعليمه الأولي في دمشق في حضان أسرته، ثم رحل وجال في بلاد الشام والحجاز ومصر، فسمع من كبار المحدثين، وكان من ابرز شيوخه المَزِّيُّ وَالْبَرْزَالِيُّ وابن تيمية، وابن دقيق العيد، والضياء المقدسي، وغيرهم. تَمَيَّزَ بدقته في القِراءات ورواية الحديث النبوي، واهتمامه بالتاريخ ونقد الرجال، حتّى صار من كبار الحُفَظاء في عصره وأثّر فيمن جاء بعده وتُوفِّيَ في حِياضِ العِلْمِ سنة 748هـ.

1.1. اسْمُهُ وَنَسَبُهُ

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذَّهَبِيُّ الدمشقي الشافعي، ويعرف أيضاً بابن الذَّهَبِيِّ نسبة إلى أبيه وكان هو يُقَيِّدُ اسمه (بابن الذَّهَبِيِّ) (الحنبلي، 1979). ويبدو أنّه اتخذ صَنعة أبيه مهنةً له أوّل أمره؛ لذلك عُرِفَ بهما، وغالباً ما كان يُعرف عند غيره بالذَّهَبِيِّ كما هو الحال عند الصَّفَقِيِّ (ومنهجه،



الْوَفِيَّاتِ بِالْوَفِيَّاتِ، 2/163؛ نكت العميان، 1/241؛، (صفحة 79)، وتاج الدين السبكي (ومنهجه، طبقات الشافعية الكبرى، 9/100؛، (صفحة 79)، والحسيني (ومنهجه، ذيل تذكرة الحفاظ، 34، (صفحة 79)، وابن كثير، (ومنهجه، البداية والنهاية، 14/22، (صفحة 79)، وغيرهم، (ومنهجه، (صفحة 79)، وهو من أسرة تُركُمَانِيَّة الأصل تنتهي إلى بني تميم (المصدر نفسه، (صفحة 77).

2.1.1. مَوْلَدُهُ وَأُسْرَتُهُ:

وُلِدَ الدَّهْبِيُّ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ (673هـ)، بِقَرْيَةِ كَفَّرَ بَطْنًا، الْوَاقِعَةِ قُرْبَ دِمَشْقَ، فِي بَيْتٍ يَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّذْيِنُ وَالِاشْتِغَالُ بِالْعِلْمِ. نَشَأَ فِي كَنْفِ أُسْرَةٍ مُحَافِظَةٍ ذَاتِ اهْتِمَامٍ دِينِيٍّ وَاضِحٍ، وَكَانَ وَالِدُهُ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ قَائِمَازِ التُّرْكُمَانِيِّ الْأَصْلِ، الدِّمَشْقِيُّ الْمَوْلَدُ. احْتَرَفَ مِهْنَةَ دَقِّ الدَّهَبِ، وَبَرَعَ فِيهَا حَتَّى اسْتَطَاعَ مِنْهَا أَنْ يَغْتِقَ خَمْسَ رِقَابٍ، كَمَا لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، فَقَدْ سَمِعَ "الصَّحِيحَ [البخاري]" سَنَةَ (666هـ)، مِنْ الْمُقَدَّادِ الْقَيْسِيِّ (ت. 705هـ) (الدَّهْبِيُّ س.، 1408هـ/1988)، وَخَتَمَ حَيَاتِهِ بِحُجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ (الدَّهْبِيُّ، 1408هـ/1988م).

3.1.1. نَشَأَتُهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ:

كَانَتْ أُهُمُّ الْعَوَامِلِ الَّتِي أَثَّرَتْ فِي التَّكْوِينِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّحْصِيلِ الْمَعْرِفِيِّ الْمُتَشَعَّبِ لِلْإِمَامِ الدَّهْبِيِّ فِي بَدَايَةِ طَلَبِ الْعِلْمِ، أُسْرَتُهُ وَبَلَدُهُ، أَمَا أُسْرَتُهُ، فَهُوَ كَمَا أَسْلَفْنَا مِنْ أُسْرَةٍ مُتَدَيِّنَةٍ مُتَعَلِّمَةٍ، مَيَّسُورَةِ الْحَالِ، الْأَمْرُ الَّذِي سَاعَدَهُ بَعْدَ تَوْفِيقِ اللَّهِ عَلَى دَفْعِ الدَّهْبِيِّ إِلَى الْكِتَابَاتِ لِتَعَلُّيمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي صَغَرِهِ، وَالتَّفَرُّغِ بَعْدَ ذَلِكَ لَطَلَبِ الْعِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ فِي رِيعَانِ شَبَابِهِ، بَدَلًا مِنَ الْإِشْتَغَالِ فِي تَحْصِيلِ قُوَّتِهِ وَطَلَبِ رِزْقِهِ. وَلَمْ يَكُنْ يُكَدِّرُ صَفْوَهُ هَذِهِ النِّعْمَةُ إِلَّا اِمْتِنَاعَ وَالِدِهِ عَلَى السَّمَاكِ لِهَ بِالرَّحْلَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ. حَيْثُ لَمْ يَشْجَعِهِ عَلَيْهَا، بَلْ مَنَعَهُ مِنْهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، قَالَ فِي تَرْجُمَةِ شَيْخِهِ أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللُّطِيفِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ وَرِيدَةَ الْبَغْدَادِيِّ الْحَنْبَلِيِّ شَيْخِ الْمُسْتَنْصَرِيَّةِ "599. 697هـ" (معروف): "وَقَدْ هَمَمْتُ بِالرَّحْلَةِ إِلَيْهِ، ثُمَّ تَرَكْتُهُ لِمَكَانِ الْوَالِدِ"، وَقَالَ فِي تَرْجُمَتِهِ: "مِنْ الْقُرَّاءِ الْكِبَارِ وَانْفَرَدَ عَنْ أَقْرَانِهِ، وَكُنْتُ أَتَحَسَّرُ عَلَى الرَّحْلَةِ إِلَيْهِ، وَمَا أَتَجَسَّرُ خَوْفًا مِنَ الْوَالِدِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَمْنَعُنِي"، وَقَالَ فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ مَكِينِ الدِّينِ الْأَسْمَرِ الْمُقَرَّرِ



الإسكندراني (ت. 692هـ) "ولما مات شيخنا الفاضلي، فازددت تلهفا وتحسرا على لقيّه، ولم يكن الوالد يُمكنني من السّفر (الدّهبيّ، معرفة القُرّاء على الطّبقات والأعصار، 1417هـ/1997م، صفحة 551).

4.1.1. رَحَلَاتِهِ:

قام الدّهبيّ بعدّة رحلات في طلب العلم، بعد أن كان والده يَمْنَعُه من السّفر، غير أنّ المنع لم يكن مُطلقاً، إذ أذن له، حين اشتدّ غُودُه وقويت عَزمَتُه، ببعض الرّحلات القصيرة التي مكّنته من لقاء عددٍ من العلماء خارج موطنه دمشق، ومن تلك الرّحلات التي قام بها في حياة والده رحلته إلى عددٍ من المُدن الشّامية، ومنها: بعلبك، وحلب، وحمص، وطرابلس، والكرك، والمعرّة، وبُصرى الشّام، ونابلس، والرّملة، والقدس، وتبوك (معجم الشُّيوخ، 1/26).

لكن أبرز رحلاته في هذه الفترة كانت إلى مصر، التي زارها في الفترة من رجب إلى ذي القعدة من عام 695هـ مروراً بفلسطين، وكان قد وعد والده أن لا يُقيم في هذه الرحلة أكثر من أربعة أشهر (الدّهبيّ، معرفة القُرّاء على الطّبقات والأعصار، 1417هـ/1997م، صفحة 558)، وبسبب ذلك لم تُطل فترة رحلته، ولكنّه أفاد كثيراً حيث سمع من شيوخها وكبار علماءها.

وفي سنة 698هـ أي بُعيد وفاة والده، رَحَلَ الدّهبيّ لِلْحِجِّ وَسَمِعَ بِمَكَّةَ، وَعَرَفَةَ، وَمِنَى، والمدينة، من مجموعة من الشُّيوخ (عواد، 1417هـ/1997م).

كما كانت له بعض الرحلات في تلك الفترة انحصرت في محيط البلاد الشّامية. قال عنه الصّفدي: "وارتَحَلَ وَسَمِعَ بدمشق، وبعلبك، وحمص، وحمّاء، وحلب، وطرابلس، ونابلس، والرّملة، وبليبيس، والقاهرة، والإسكندرية، والحجاز، والقدس، وغير ذلك" (ايبك، 1428هـ/2007م، صفحة 34).



5.1.1. شُيُوخُهُ:

ترك لنا الحافظ الدَّهْبِيُّ ثلاث معاجم لشيُوخه: المعجم الكبير، والمعجم الأوسط والمعجم الصغير، وقد وصل فقط المعجم الكبير. وذكر الصفدي أن عدد شُيُوخ الدَّهْبِيِّ وصل إلى ألف وثلاثمائة شيخ. وجاء تعدادهم في كتابه (معجم الشُّيُوخ) 1043 شيخاً.

6.1.1. وفاته: - رحمه الله -

تُوفِّي الدَّهْبِيُّ رحمه الله سنة 748هـ، بعد أن كفَّ بَصَره، وكان قد بَلَغَ من العُمُر حينذاك خَمسة وسبعين عاماً وسبعة أشهر.

وقد خَلَفَ الدَّهْبِيُّ ثلاث من الوُلَد، أكبرهم ابنته أُمَةُ العَزِيز، وأنجبت ولداً اسمه عبد القادر، وأجاز له جدّه، وأوسطهم ابنه أبو الدَّرْدَاء عبد الله المتوفى سنة أربع وخمسين وسبعمئة (قبل وفاة والده)، وقد أَسْمَعَهُ أبوه من خلق، وأصغرهم ابنه شهاب الدين، أبو هريرة، عبد الرحمن المتوفى سنة (799هـ) (بعد وفاة والده). (سَعْد، ، 1407هـ/1986م، صفحة 13).

2. آثار الدَّهْبِيِّ ونشاطه العلمي:

لقد تَمَيَّز نشاط الحافظ الدَّهْبِيِّ العلمي، فأنتج مُؤَلِّفات أصبحت مراجع أساسية في عِلْم الحديث والتاريخ والتَّراجم، ويُعدُّ نشاطه العلمي امتداداً لحركة علمية نَشَطَتْ في عصره، لكنه تَفَوَّقَ على أقرانه بِمَنْهَجِيَّتِهِ وَحِسِّهِ النُّقْدي الفَرِيد. كما وَعَدَّتْ هذه الآثار مِرْآة صَادقة لِمَكَانَتِهِ فِي السَّاحَتَيْنِ الْحَدِيثِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ مِمَّا يَسْتَوْجِب التَّوَقُّفَ عِنْدَهَا دراسةً وَتَقْيِيماً.

1.2. نَشَاطُهُ الْعِلْمِي:

اتَّصَلَ الحافظ الدَّهْبِيُّ اتِّصَالاً وَثِيقاً بِثَلَاثَةِ شُيُوخِ عَصْرِهِ، وَهُمْ: جَمَالُ الدِّينِ الْمَرْزِي، وَعَلَمُ الدِّينِ الْبَرْزَالِي، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ، وَكَانَ الدَّهْبِيُّ أَصْغَرَهُمْ سِنًا وَأَكْثَرَهُمْ رُسُوخًا وَأَقْرَبَهُمْ مَلَاظِمَةً لَهُمْ، فِي حِينِ كَانَ الْمَرْزِي أَكْبَرَهُمْ سِنًا وَأَكْثَرَهُمْ رُسُوخًا فِي عِلْمِ الرِّجَالِ. وَقَدْ نَهَلَ الدَّهْبِيُّ مِنْ مَجَالِسِهِمْ عِلْمًا وَمِنْهَجًا، فَكَانَ



لتأثيرهم العميق دورٌ بارزٌ في تكوين شخصيته العلمية، وصقل نظريته النقدية ومنهجه في التاريخ.

وقد انعكست صلته الوثيقة بشيوخه الثلاث في نتاجه العلمي، فبعد أن ترسخت معارفه واتسعت مداركه، أخذ يختصر عدداً من كتب التاريخ، مثل: مختصر الأنساب للسمعاني، ومختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ومختصر تاريخ مصر لابن يونس، ومختصر التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار، حتى بلغ عدد مختصراته اثنين وعشرين كتاباً في التاريخ وحده. ثم شرع بعد ذلك في تأليف كتابه الشهير "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" قبل سنة 714 للهجرة، وتولى الخطابة في مسجد كقر بطننا، فأتخذه مركزاً لنشر علم والحديث، وكان من تلاميذه، تاج الدين السبكي يفد إليه لقراءة الحديث عليه أو بين يديه. وعندما توفي الشيخ الشريشي، مدرّس المدرسة الصالحية بترية أم صالح (النعيمي، 1410هـ/1990م)، لم يجد الناس خيراً من الذهبي ليخلفه في منصبه. وقد شكّلت هذه المرحلة ذروة نضجه العلمي، وأزست الأسس التي بُني عليها مشروعه التاريخي الكبير.

2.2. مؤلفاته.

تتصدر مؤلفات الذهبي ثلاث أعمال كبرى تُعد من أعمدة التراث الإسلامي، أولها: "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، وهو أوسع كتبه جمع فيه بين سرد الحوادث والتراجم في سبعين طبقة زمنية مرتبة هجائياً، ويضم أكثر من أربعين ألف ترجمة. يليه كتابه الشهير "سير أعلام النبلاء"، الذي يعد مرجعاً لا نظير له في تراجم العلماء والصالحين وأعلام الأمة. أما ثالثهما، فهو "ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، وهو من أهم كتب الجرح والتعديل. ألف أيضاً كتباً أخرى في هذا الباب، مثل: "المغني في الضعفاء"، و"ديوان الضعفاء والمتروكين"، و"الكاشف في أسماء من له رواية في الكتب الستة"، و"تهذيب تهذيب الكمال" للحافظ المزي. وكلها تدل على منزلته الراسخة كناقِدٍ حداثيٍّ ومؤرخٍ حصيفٍ ومؤثّقٍ، جمع بين الدقة العلمية وسعة الإطلاع.



3.2. عقيدته ومذهبه وآراء العلماء فيه :

تَمَيَّزَ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ بِعَقِيدَةٍ سُنِّيَّةٍ رَاسِخَةٍ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَفَهَمَ السَّلَفُ الصَّالِحَ، مُنْضَبِطاً بِآرَائِهِ بِمَنْهَاجِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، بَعِيداً عَنِ الْغُلُوفِ أَوْ التَّأْمُلِ الْمَفْرُطِ، وَقَدْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فِي الْفَقْهِ، مَعَ مِيلٍ وَاضِحٍ إِلَى التَّرْجِيحِ مَا يَثْبُتُ لَدَيْهِ بِالْدَّلِيلِ. وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ قَدِيماً وَحَدِيثاً لاعتداله في المعتقد، وإنصافه في الحكم، حَتَّى عُدَّ مِنْ أَبْرَزِ مَنْ مَثَلَ الْمَنْهَجِ الْوَسْطِيِّ فِي الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَعَاصِرِ.

- عَقِيدَتُهُ:

عُرِفَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَوَاقِفِهِ الَّتِي تَدْعُو إِلَى التَّمَسُّكِ بِعَقِيدَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ عُلَمَاءَ وَاعْتِقَاداً وَدَعْوَةً وَتَعْلِيماً وَجِهَاداً، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ جَلِيّاً مَنْ أَطَّلَعَ عَلَى مُصَنَّفَاتِهِ سِوَا مَا تَعَلَّقَ بِمَسَائِلِ الْإِعْتِقَادِ مِنْ كِتَابِ "الْغُلُوفِ"، وَكِتَابِ "الْعَرْشِ"، وَكِتَابِ "الْأَرْبَعِينَ فِي صِفَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، وَرِسَالَةِ "الْتِمَسُّكِ بِالسُّنَنِ وَالْتَحْذِيرِ مِنَ الْبِدْعِ" وَغَيْرِهَا، أَوْ كَتَبَهُ الْآخَرَى فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهَا (علي، الصفحات 409-433).

إِنَّ عَقِيدَةَ الْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ تُمَثِّلُ امْتِدَاداً لِمَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لِاسِيْمَا الْمَدْرَسَةِ الْأَثَرِيَّةِ السَّلَفِيَّةِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْهَا بِاعْتِدَالِ دُونَ غُلُوفٍ أَوْ تَفْرِيطٍ، مُلْتَزِماً بِنُصُوصِ الْوَحْيِ وَمَا جَاءَ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ. تَمَيَّزَ بِنَزْعَةٍ تَوْفِيقِيَّةٍ تُظْهِرُ احْتِرَامَهُ لِلْأَثِمَةِ الْكِبَارِ مَعَ تَحْفَظِهِ عَلَى أَهْلِ الْكَلَامِ، فَكَانَ يَنْتَقِدُ الْغُلُوفَ فِي التَّأْوِيلِ وَالْفَلَسَفَةِ، دُونَ أَنْ يَقَعَ فِي التَّجْرِيعِ أَوْ التَّكْفِيرِ. تَظْهَرُ عَقِيدَتُهُ فِي مُصَنَّفَاتِهِ مِنْ خِلَالِ التَّوْقِيفِ لِلنُّصُوصِ، وَالْإِمْسَاكِ فِي مَسَائِلِ الصِّفَاتِ، وَالِدَّعْوَةِ إِلَى الْإِتِّبَاعِ لَا الْإِبْتِدَاعِ. " (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري 32/5، 1413هـ/1993م).

3. الأوضاع السياسية والحياة العلمية عصر الذهبي:

عَاصَرَ الذَّهَبِيُّ فِتْرَةَ حَرَجَةٍ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، تَمَيَّزَتْ بِتَكَالِبِ الْأَخْطَارِ الْخَارِجِيَّةِ وَالْإِخْلَاقِيَّةِ عَلَى الْأُمَّةِ، فَقَدْ كَانَ الْخَطَرُ الْمَغُولِي فِي أَوْجِهِ، بَعْدَ أَنْ اجْتَاكَ التَّنَارُ بِبَغْدَادِ سَنَةِ 656هـ، وَأَسْقَطُوا الْخِلَافَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ، ثُمَّ تَوَغَّلُوا فِي الشَّامِ، نَاشِرِينَ الْخَرَابَ وَالْدَّمَارَ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ، اسْتَمَرَّ التَّهْدِيدُ الصَّلِيبِيِّ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ، رَغْمَ تَرَاوُجِ قُوَّتِهِ بَعْدَ تَحْرِيرِ



القدس سنة (583هـ/1187م)، إلا أنّ بقايا الإمارات الصليبية ظلّت مصدر قلق واضطراب حتّى سقوط عكا سنة (690هـ/1291م). (عاشور، 1977، الصفحات 121-152) وعلى الصعيد الداخلي نشطت الحركات الباطنية الهدامة كالإسماعيلية والنصيرية "في إثارة الفرقة بين السنة والشيعة في بلاد الشام وممارستهم القتل والاغتيال، وامتد أثرهم إلى تفاقم تعاطي الحشيش في المجتمع" (Lewis, pp. 99-124) مما جعل هذه المرحلة من أخطر المراحل التي استهدفت وجود الإسلام وهويته، وهو ما انعكس بوضوح في كتابات الدّهبي ومواقفه من أصحاب الأهواء والفرق المنحرفة.

1.3. الأوضاع السياسية عصر الذهبي:

ظَلَّ الحَافِظُ الدّهَبِيُّ طِيلَةَ حَيَاتِهِ كَرَجَلٍ عِلْمٍ وَفِكْرٍ "بَعِيداً عَنِ الصِّرَاعَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، وَلَمْ يَنْخَرِطْ فِي الشَّأْنِ السِّيَاسِيِّ إِنْخِرَاطاً مُبَاشِراً، بَلْ حَافِظٌ عَلَى مَسَافَةٍ آمِنَةٍ مِنَ السُّلْطَةِ وَأَجْزَتْهَا، مُقَدِّمًا الْعِلْمَ عَلَى الْجَدَلِ، وَالتَّأْلِيفِ عَلَى الْخِطَابَةِ، وَالْإِنْعِزَالِ عَلَى الْمُكَاشَفَةِ. وَقَدْ أَظْهَرَ فِي مُؤَلَّفَاتِهِ وَغِيّاً عَمِيقاً بِأَثَرِ السِّيَاسَةِ فِي التَّارِيخِ، لَكِنَّهُ بَقِيَ عَالِماً مُصْلِحاً لَا سِيَاسِيّاً مُنَازِعاً" (الخراسي، عقيدة الإمام الدّهبي، 1430هـ/2009م).

2.3. الحياة العلمية عصر الذهبي:

يمكن وصف العصر الممتد بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين بفترة النهضة التاريخية الثانية، بعد النهضة الأولى التي ازدهرت بين القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ إذ شهدت المدرسة التاريخية الشامية نشاطاً علمياً واسعاً، برز فيه عدد من كبار العلماء، ابتداء من ابن خلكان (ت. 681هـ)، وبهاء الدين عز الدين بن شداد (ت. 684هـ)، ونجم الدين بن واصل (ت. 697هـ)، وانتهاءً بشمس الدين الدّهبي (ت. 748هـ)، وعَلَّمَ الدين البَزْزَالِي (ت. 739هـ)، وجمال الدين المَزْيُي (ت. 642هـ)، وشهاب الدين أبو العباس العُمَرِيُّ (ت. 749هـ)، وإسماعيل بن كَثِير (ت. 774هـ). (مصطفى / كانون الثاني 1993، 4/74).



1.2.3. المدرسة الشّامية والكتابة التاريخية في القرن 8هـ/14م:

عرفت الكتابة التاريخية عند المسلمين ما يمكن تسميته بـ (المدارس التاريخية الكبرى) وهي ثالث مدارس أساسية من حيث النشأة والأهمية والتطوّر العلمي في مجال التأليف التاريخي، وهي: المدرسة الحجازية والمدرسة الشامية والمدرسة العراقية.

وسأقتصر في هذا السِّياق على الحديث عن المدرسة الشامية لما لها من صلة مباشرة بموضوع هذا البحث، إذ يعتبر الذّهبي أحد أعلامها البارزين وركناً من أركانها. وقد تفرعت عنها عدة مدارس علمية أسهمت في إحياء الحركة التاريخية، من أبرزها: المدرسة الأتابكية (النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، 1410هـ/1990م)، والمدرسة النُورية (النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، 1410هـ/1990م)، والمدرسة العزيزية (النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، 1410هـ/1990م)، المدرسة الصالحية (النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، 1410هـ/1999م)، التي واصلت جميعها دورها في التدوين التاريخي وتحقيق وضبط الروايات ونشر العلوم (شاكر، يناير 1992م).

كما واعتبرت مدارس الشّام عموماً، امتداداً لمدرسة المدينة المنورة، بل إن رجالها الأوائل هم رجال التاريخ في المدينة، وهم الذين أرسوا جذورها في دمشق يوم كانت الاتصالات دائمة وقوية بين هؤلاء الرجال وبين بني أمية وإن لم يكتبوا لهم تاريخاً بالمعنى المفهوم، ذلك أنّ ابن شهاب الزهري (ت. 124هـ)، وهو مؤسس مدرسة المدينة لم يكتب لبني أمية تاريخاً وإنما سجل ودون كتاباته باستقلالية تامة عن الحكم والحكام في زمانه (الضاري، 1405هـ/1985م).

والواضح أن المدرسة الشامية استمرت على نفس المنهج التأسيسي الأول، لكن مع شيء من التخصص والتميّز عن غيرها من المدارس الأخرى.

بلغت المدرسة الشامية ذروة نشاطها في القرنين السابع والثامن الهجريين، ويُعزى هذا التحوّل إلى اهتمام الحكّام الزنكيّين ومن بعدهم الأيوبيّين والمماليك، بما قدّموه من دعمٍ للعلم والعلماء، من خلال نشر الثقافة وبناء المدارس الكبرى، وتشجيع حركة التّأليف، استقبال العلماء من مختلف الأقطار، إلى جانب انتشار المكتبات في معظم



مُدُن الشَّام، وكانت دمشق وحلب وحمس أبرز المراكز الثقافية والفكرية، بما في ذلك حركة التأليف والتدوين و التوثيق، كما شهدت القدس وحما وعكا وصفد وعسقلان وطبرية وبيسان نشاطاً علمياً مُوازيّاً.

وقد مثَّلَ هذا الازدهار ذروة نُضجِ المدارس الشَّاميّة، الّتي أُرْسَتْ أُسُسُ النّهضة التاريخية الإسلامية في المشرق.

2.2.3. المدرسة الشَّاميّة ودورها في تطوُّير الإنتاج العلمي في الكِتابَة التاريخية.

لقد شهدت المدارس الشَّاميّة خلال عصر الحافظ الدَّهبيّ ازدهاراً علمياً واسعاً في مجال التأليف التاريخي، حيث تنوعت المصنفات بين كُتُب السِّير، والتواريخ الإقليمية الخاصة بكل منطقة، وتاريخ الإسلام العام بوصفه الإطار الجامع، فضلاً عن مؤلفات تناولت نُصح الحكّام وتوجيههم، وأخرى جاءت تذليلاً واستدراكاً على ما سبق من مصنفات، إضافة إلى كُتُب التَّراجم والرُّوَاة؛ وقد بلغ عدد المؤرخين في بلاد الشَّام نحو ثلاثمائة وسبعة وخمسين مؤرخاً، وهو العدد الأكبر في العالم الإسلامي آنذاك ممّا يدل على حيوية الحركة العلمية وعمقها في تلك الفترة (شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، يناير 1992).

لقد كان هذا الازدهار العلمي الذي حققته المدرسة الشَّامية في الكتابة التاريخية خلال عصر الحافظ الدَّهبيّ، خاصة في دمشق وحلب، حيث تفاعلت الحركة العلمية مع التحولات السياسية الكبرى كالغزو المغولي ونهاية الدولة الأيوبية وصعود المماليك. تميّز المؤرخون الشَّاميون بالدقّة في التوثيق، والاعتماد على الرواية مباشرة بعد تمحيصها ونقدها ظاهرياً وباطنيّاً، ومن أبرز أعلامها ابن عساكر، ثمّ الدَّهبيّ، وابن كثير، والصفدي. وقد اتسمت هذه المدرسة بجمعها بين التأريخ العام و الطَّبَقَات، واهتمامها بالبعد الحضاري والديني للأحداث. كما برز فيها التأريخ الحوْلِي، و التَّراجم، وموسوعات السِّير، ممّا جعلها رافداً مهمّاً للمدرسة التاريخية الإسلامية في مُجْمَلِهَا (منصور، 2008).



4- منهج الذَّهَبِيِّ ومصادره وأسلوب لغته في كتاب "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام":

يقوم منهج الذَّهَبِيِّ في الكتابة التاريخية على أربعة عناصر مترابطة:

- 1- إبراز المصادر: حرص الذَّهَبِيُّ على توثيق مادته التاريخية من خلال تعدد المصادر وتنوعها، فكان يذكر أسانيد الروايات وأسماء من نقل عنهم بِدِقَّةٍ وَأَمَانَةٍ علمية.
 2. دِقَّةُ الْإِنْتِقَاء: اتسم منهجه بالتحري في اختيار الأخبار، فلا يروي إلا ما صَحَّ سَنَدُهُ أو عَضَدَتْهُ الشَّوَاهِدُ، مُتَجَنِّباً الْمُرَوِّياتِ الضَّعِيفَةِ أو الْغَرِيبَةِ.
 - 3- النقد العلمي للرواية والأشخاص: مارس الذَّهَبِيُّ نقداً منهجياً للرواة والأحداث مستنداً إلى قواعد الجرح والتعديل، مع تحليل يوازي بين الثقة والموضوعية.
 4. وضوح الأسلوب واللغة: تميَّز أسلوبه بالسهولة والدقة والبعد عن التكلُّف، فجاءت عباراته موجزة ومعبرة تحفظ للخبر قيمته العلمية وللسرد انسجامه الأدبي.
- ويُتيح هذا المنهج فهماً متوازناً للتاريخ الذي يجمع بين المعلومات الموثوقة والمنهج النَّقْدِي الصارم والسرد التاريخي المستقيم.

1.4. أَبْرَزُ مَصَادِرِهِ التَّارِيخِيَّةِ:

اعتمد الحافظ الذَّهَبِيُّ في كتابه "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" على شبكة واسعة من المصادر، توزعت بين كتب التاريخ والسير، وكتب الرجال والمصنفات الجغرافية والتَّراجم، بالإضافة إلى مشاهداته الشخصية وروايات شيوخه، ففي الجانب التاريخي، أفاد من مؤلفات الطبري (ت.310هـ)، وابن سعد (ت.230هـ)، وكتاب "التاريخ" لـخليفة خِطَّاط (ت.240هـ)، وابن الجوزي (ت.597هـ)، وكتابه "المنتظم"، و"مرآة الزمان" و"ذيل مرآة الزمان" لليوني (ت.726هـ)، وابن عساكر وغيرهم. وكان الذهبي يُخضعها للتمحيص والنقد، ولا يكتفي بالنقل المجرد، بل كان يستشهد للحادثة الواحدة بعدة روايات ليستخلص منها الحقيقة أو يعلِّق عليها بملاحظات بسيطة وسريعة. (بشار، الذَّهَبِيُّ ومنهجه، الصفحات 67-69).



2.4: مواد الذهبي في كتابه "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"

لقد أورد مواد في بداية مؤلفه بقوله: "وقد طالعت على هذا التأليف من الكتب مصنفات كثيرة، ومادته من: دلائل النبوة للبيهقي، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن اسحاق، ومغازيه لابن عائذ الكاتب، والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدي، وتاريخ أبي عبد الله البخاري، وبعض تاريخ أبي بكر أحمد بن أبي خيثمة، وتاريخ يعقوب الفسوي، وتاريخ محمد بن المثنى العنزي وهو صغير، وتاريخ أبي حفص الفلاس، وتاريخ أبي بكر بن أبي شعبة، وتاريخ الواقدي، وتاريخ خليفة بن خياط، والطبقات له، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي، والفتوح لسيف بن عمر، وكتاب النسب للزبير بن بكار، والمسند للإمام أحمد، وتاريخ المفضل بن غسان الغلابي، والجرح والتعديل عن يحيى بن معين، والجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم.

ومن عليه رمز فهو في الكتب الستة أبو بعضها، لأنني طالعت مسودة تهذيب الكمال لشيخنا الحافظ أبي الحجاج يوف المزي، ثم طالعت المبيضة كلها. فمن عليه اسمه ع فحديثه عن الستة، ومن عليه فهو في السنن الأربعة، ومن عليه حرف خ فهو في البخاري، ومن عليه م ففي مسلم، ومن عليه د ففي سنن أبي داود، ومن عليه ت ففي جامع الترمذي، ومن عليه ن ففي سنن النسائي، ومن عليه ق ففي سنن ابن ماجه. وأن كان الرجل في الكتب إلا فرد كتاب فعليه سوى ت مثلاً أو سوى د.

وقد طالعت أيضاً عليه من التواريخ التي اختصرتها: تاريخ أبي عبد الله الحاكم، وتاريخ أبي سعيد بن يونس، وتاريخ أبي بكر الخطيب، وتاريخ أبي سعد السمعاني، والآنساب له، وتاريخ القاضي شمس الدين بن خلكان، وتاريخ العلامة شهاب الدين أبي شامة، وتاريخ الشيخ قطب الدين بن اليونيني، وتاريخه ذيل على مرآة الزمان للواعظ شمس الدين يوسف سبط ابن الجوزي وهما على الحوادث والسنين، وطاعت أيضاً كثيراً من: تاريخ الطبري، وتاريخ ابن الأثير، وتاريخ ابن الفريسي، وصلته لابن بشكوال، وتكملتها لابن الأبار، والكمال لابن عدي، وكتباً كثيرة وأجزاء عديدة، وكثيراً من: مرآة الزمان" (الذهبي ش.، 1420هـ/2003م).



3.4. خَصَائِصُ لُغَتِهِ وَأُسْلُوبُهُ فِي الْعَرَضِ:

تميز أسلوب الحافظ الذَّهَبِيِّ بلغته السهلة والمباشرة، وابتعاده عن الإطناب والتكرار، واعتماده على التلخيص دون إخلال بالغرض. وقد كان دقيقاً في اختيار ألفاظه، محافظاً على الطابع العلمي للمادة، ومُتَحَلِّياً بالرِصَانَةِ فِي السَّرْدِ، وغالباً ما تَجَنَّبَ السَّجْعَ وَالرَّخَافَ الأدبية المُتَكَلِّفَةَ، مُفَضِّلاً الأسلوب الموضوعي المُوجَزَ، ويلاحظ انه تعامل مع الحوادث بِوعِيٍّ مَنَهْجِيٍّ يجمع بين دِقَّةِ المؤرخ وَحِسِّ الأديب الشَّاعِرِ، إذ يُرْبِطُ بين الوقائع وأثرها عَلَى السِّيَاقِ العامِّ لِلأَحْدَاثِ.

أما فِي تَرَاجِمِ الأَعْلَامِ، فقد اتَّبَعَ منهجاً يَقُومُ عَلَى تَفْسِيمٍ يُعْتَمَدُ عَلَى تَفْسِيمٍ دَاخِلِيٍّ غَيْرِ مُعْلَنٍ، يبدأ فِيهِ بِذِكْرِ النَّسَبِ وَالْوِلَادَةِ، ثُمَّ يوردُ أَسْمَاءَ الشُّيُوخِ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ، فَالرَّحَلَاتِ إِنْ وُجِدَتْ، ثُمَّ الْمُؤَلَّفَاتِ، وَأَخيراً رَأَى العُلَمَاءِ فِي المَتَرَجِمِ من حيث التَّوْثِيقِ أو الضُّعْفِ، مع إضافة تَعْلِيلٍ نَقْدِيٍّ مُخْتَصَرٍ فِيهِ لِفُظْتُهُ المَأْلُوفَةِ "قُلْتُ" (عواد، الذَّهَبِيُّ ونهجه فِي كتابه تاريخ الاسلام، 1976). يتَّضَحُ من ذلك أَنَّ الحافظ الذَّهَبِيَّ جمع فِي أسلوبه بين دِقَّةِ المؤرخ ومنهجية المحدث وذوق الأديب، فصاغ نصّاً تاريخياً يجمع بين الإيجاز والإحكام، مما جعل كتاباته مرجعاً عملياً متيناً باقٍ قِيَمَتُهُ وأثره.

4.4. الجَمْعُ بين التَّوْثِيقِ والتَّحْلِيلِ:

اهتمَّ الحافظ الذَّهَبِيُّ اهتماماً بالغاً بالتَّوْثِيقِ أثناء الكتابة التاريخية، وعده ركناً أساسياً فِي تَأْصِيلِ التاريخ وضبط روايته، فقد كان يَعْمَدُ إِلَى تحقيق الحوادث من مصادر متعدّدة، ثُمَّ يُقَدِّمُ رُؤْيِيَهُ النَّقْدِيَّةَ من خلال تَعْلِيلَاتِهِ المُوجَزَةَ أو التَّرْجِيحِيَّةَ لِأَحَدِي الرِّوَايَاتِ عَلَى غيرها، وَلَمْ تَكُنْ مَلاحِظَاتُهُ عَلَى الأَعْلَامِ والرِّوَاةِ مُجَرَّدَ آراءٍ أو انطباعَاتٍ عَامَّةٍ، بل أُسْنَدَتْ إِلَى قَوَاعِدِ دَقِيقَةٍ مُسْتَمِدَّةٍ من منهج الجَرْحِ والتَّعْدِيلِ (عواد، الذَّهَبِيُّ ومنهجه، 1976)، وإلى فهم عميق لِسِّيَاقِ الحَدَثِ وَنَتَائِجِهِ. وقد بَلَغَ تَمَيُّزُهُ فِي هَذَا المَجَالِ حَدّاً عَالِياً جَعَلَهُ يُصَنَّفُ ضِمْنَ المؤرخين النُقَّادِ الَّذِينَ جَمَعُوا بين دِقَّةِ المُحَدِّثِينَ ومنهجية المؤرخين، لَا ضِمْنَ الرِّوَاةِ الجَامِعِينَ النَّاقِلِينَ فَحَسَبَ.



5. عَرَضُ عَامٍ لِكِتَابِ "تَارِيخِ الْإِسْلَامِ":

يقوم عرض الكتاب على ثلاث عناصر، موضوعه وبنيته، ومنهجه الزمني والطبقي، ثُمَّ قيمته العلمية في الساحة التاريخية.

1.5. مَوْضُوعُ الْكِتَابِ وَبُنْيَتُهُ الْعَامَّةُ:

يعتبر كتاب "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" من أبرز المصنّفات التاريخية المبسّطة في التراث الإسلامي، ألفه الحافظ الذّهبي على مدى سنوات طويلة، وجعل منه مرجعاً ضخماً يغطي تاريخ الإسلام من البعثة النبوية إلى نهاية القرن السابع الهجري، بل وصل فيه إلى حدود سنة (700هـ)، وضَمَّ بين دَفْتَيْهِ تاريخ الدُّول والأقاليم، وأخبار الحروب، وتراجم الرِّجال والنِّساء من أعلام الفكر والسياسة والعلم والدين. وقد قَسَمَ الحافظ الذّهبي كتابه إلى مُجلّداتٍ تُغطّي سنوات مُتتَابعة من التاريخ، مع الجِرْصِ عَلَى تَرْتِيبِ الطَّبَقَاتِ والوَفَيَّاتِ حسب السنين. وتظهر البُنْيَةُ الْعَامَّةُ لِلْمُصَنَّفِ فِي ثَلَاثِ وَحَدَاتٍ مُتَدَاخِلَةٍ:

.وحدة الحدث السياسي العام (الفتوحات، السقوط، الثورات...).

.وحدة الحوادث الثقافية والدينية (المجالس العلمية، البدع، الفتن، الفتاوى).

.وحدة التَّراجم والوَفَيَّاتِ، والتي أخذت الحيز الأكبر في المصنّف (الذّهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف، المقدمة، 2003).

2.5. الْمَتَبَعُ الزَّمَنِي وَالطَّبَقَاتُ:

اعتمد الذّهبي في بناء كتابه على منهج الترتيب الزمني الدقيق (نظام الحوليات)، حيث جعل كل سنة هجرية وحدة مستقلة يبدأها بعبارة "ثُمَّ دخلت سنة..." أو "وفيهما كانت..."، أو "في سنة..."، ثُمَّ يورد الحوادث الجارية فيها، تليها مشاهير الوَفَيَّاتِ والأعلام الذين تَوَفَّوْا في تلك السنة، مع ذكر تراجمهم على التَّوَالِي ضمن الطَّبَقَةِ الْوَاحِدَةِ، وهو بهذا يقترب من الطَّبْرِي، لكنّه يُضيف عنصر التَّرجمة الموسعة والنَّقد للأشخاص، وهو ما يُمَيِّزُهُ وَيُعْطِي لِلكِتَابِ بَعْداً تَوْثِيقِيّاً لَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ الْحَوَادِثِ فَحَسَبَ، بَلْ تَمَحِيصُهَا



وتأصيلها. وقد استخدم الحافظ الذَّهَبِيُّ مصطلح "الطَّبَقَة" للدَّلالة عَلَى الْجِيلِ الْعِلْمِيِّ أَوْ الزَّمَنِ، وَهُوَ تَقْلِيدٌ مُسْتَمَدٌّ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ وَالرِّجَالِ. وَمِنْ خِلَالِ هَذَا التَّنْظِيمِ الطَّبَقِيِّ، يَتَضَخُّ حِرْصُ الذَّهَبِيِّ عَلَى ضَبْطِ تَسْلُسِلِ الرُّوَاةِ وَالْأَعْلَامِ، وَرَبْطِهِمْ بِزَمَنِهِمْ، مِمَّا يُسَهِّلُ فِي ضَبْطِ السِّيَرِ وَالْأَخْبَارِ عَلَى أَسَاسِ مَتْنَيْنِ مِنَ التَّوَثُّيقِ الزَّمَنِيِّ. وَهَذَا الْمُنْهَجُ جَعَلَهُ أَكْثَرُ دَقَّةٍ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي تَرْتِيبِ الْحَوَادِثِ. (معروف ب.، الذَّهَبِيُّ وَمُنْهَجُهُ، 1976).

3.5. الْقِيَمَةُ الْعِلْمِيَّةُ لِلْمُصَنَّفِ:

لقد عرض الحافظ الذَّهَبِيُّ الحَوَادِثَ السِّيَاسِيَّةَ وَالتَّطَوُّرَاتِ الدِّينِيَّةَ وَالْعِلْمِيَّةَ، وَتَرَاجِمَ الْأَعْلَامِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْبُلْدَانِ، وَتَبَرَّزَ الْقِيَمَةُ الْعِلْمِيَّةُ لِلْمُصَنَّفِ فِي مُوسُوعِيَّتِهِ، وَتَوَثُّيقِهِ، وَنَقْدِهِ لِلْمَصَادِرِ، وَقَدْ صَارَ الْكِتَابُ مَرْجِعاً أَسَاسِيّاً لَدَى مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ، لِمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ مِنْ ضَبْطٍ، وَتَوَازُنٍ، وَثَرَاءٍ مَعْرِفِيٍّ مُتَجَدِّدٍ.

6. الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْحَوَادِثِ وَالتَّرَاجِمِ:

اعتمد الحافظ الذَّهَبِيُّ فِي تَنْظِيمِ مَادَتِهِ التَّارِيخِيَّةِ عَلَى مَصَادِرٍ رَاسِخَةٍ فِي الْمِيدَانِ، مِثْلَ تَارِيخِ "خَلِيفَةِ بْنِ خِيَّاطٍ"، وَتَارِيخِ الطُّبْرِيِّ "تَارِيخِ الْأُمَمِ وَالْمُلُوكِ"، وَابْنِ الْأَثِيرِ "الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ"، فِي جَوَانِبِ الْحَوَادِثِ، كَمَا اعْتَمَدَ فِي جَانِبِ التَّرَاجِمِ عَلَى كُتُبِ اهْتَمَّتْ بِتَعْرِيفِ الْأَعْلَامِ وَسِيرِهِمْ، مِثْلَ (وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ) لِابْنِ خُلْكَانَ، وَ(الْمُنْتَظَمُ) لِابْنِ الْجَوَازِيِّ، وَ(التَّكْمِلَةُ لَوْفَيَاتِ النُّقْلَةِ) لِلْمُنْذِرِيِّ، وَ(الصَّلَةُ) لِابْنِ بَشْكَوَالٍ، وَ(تَكْمِلَةُ لِكِتَابِ الصَّلَةِ) لِابْنِ الْأَبَّارِ، وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ الطَّبَقَاتِ وَالتَّرَاجِمِ الْمَشُورَةِ.

وَيُلاحَظُ أَنَّ الْقَرْنَ الثَّامِنَ الْهَجْرِيَّ شَهِدَ تَحَوُّلاً مَلْحُوظاً فِي نَمَطِ الْكِتَابَةِ التَّارِيخِيَّةِ، إِذْ زَادَ اهْتِمَامُ الْمُؤَرِّخِينَ بِذِكْرِ التَّرَاجِمِ وَالتَّوَسُّعِ فِيهَا، لِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ مَعْلُومَاتٍ ثَرِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِالْحَوَادِثِ التَّارِيخِيَّةِ وَالْبَيْئَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ. وَقَدْ أَدْخَلَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ تَقْسِيماً مُنْهَجِيّاً وَاضِحاً، فَجَعَلَ الْحَوَادِثَ تُسَرَّدُ أَوَّلًا حَسَبِ التَّرْتِيبِ السَّنَوِيِّ، ثُمَّ تَلَمَّهَا التَّرَاجِمُ كُلُّ عَشْرِ سَنَوَاتٍ فِي طَبَقَةٍ وَاحِدَةٍ، مَرْتَبَةً عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ. وَهَذَا الْأُسْلُوبُ أَرَسَى نَمَطاً مِنَ الْحَوَالِيَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الْمُتَكَامِلَةِ، الَّتِي تَوَازَنُ بَيْنَ سَرْدِ الْأَحْدَاثِ الْعَامَّةِ وَتَوْثُّيقِ الشَّخْصِيَّاتِ الْمُؤَثَّرَةِ، وَقَدْ ظَلَّتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ مُؤَثِّرَةً فِي مَنَاهَجِ الْمُؤَرِّخِينَ بَعْدَهُ. وَيَعُزُّوُ الْأُسْتَاذَ فِرَانَزَ



روزنتال (روزنتال، 1403هـ/1983م،، الصفحات 198-204)، هذا التَّحَوُّل إلى تَطَوُّر الوعي التاريخي وازدياد الحاجة إلى فهم التاريخ من خلال الأفراد لا من خلال الوقائع المجردة فقط (معروف ب.، 1 مايو 1965، الصفحات 33-34) مما منح تراجم الدَّهْبِيَّ قيمة مضاعفة، توثيقية وسردية في آنٍ واحدٍ.

1.6. تَنْظِيمُ الْحَوَادِثِ وَعَرْضُهَا:

اعتمد الحافظ الدَّهْبِيَّ في تنظيم مادته التاريخية على نظام الحوادث والطَّبَقَات، فهو أسلوب يجمع بين النظام الحولي والمنهج التحليلي في عرض الوقائع. فقَسَّم التاريخ إلى طبقات زمنية متتابعة، كل منها تمتد نحو عشر سنوات، سماها " الطبقة "؛ حيث قسَّم الدَّهْبِيَّ كتابه "تاريخ الإسلام" إلى طبقات تمتد عشر سنوات كاملة، فبلغ مجموعها سبعين طبقة. غير أن مفهومه للطبقة يختلف عن المفهوم المتداول عند المحدثين، إذ لا يقوم على أساس اللَّفْظِ [الإِتِّقَاء] والسماع، بل على مبدأ التسلسل الزمن للحوادث والوَفَيَّات. وهذا جعل الدَّهْبِيَّ من الطبقة إطاراً تاريخياً منتظماً يُبْرَز تَطَوُّر الأحداث وتعاقب الأجيال، مُستفيداً من منهج التأريخ على السنين (الحوليات) الذي يمنح مادته ترابطاً زمنياً واضحاً ودقة في عرض الوقائع والشخصيات. (الشيخ، الحافظ الهبي مؤرخ الاسلام، 1414هـ/1994م).

2.6. تَنْظِيمُ التَّرَاجِمِ وَعَرْضُهَا:

عَرَضَ الدَّهْبِيَّ التَّرَاجِمَ في كتابه "تاريخ الإسلام وَوَفَيَّاتِ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ" بأسلوب منهجي دقيق، حيث رتّبها ترتيباً زمنياً بحسب طبقات الوَفَيَّاتِ، ثُمَّ رَتَّبَ الْأَعْلَامَ داخل كُلِّ طبقة هِجْرِيّاً بحسب سنة الوفاة، مع تقديم الأبرز فالأبرز علمياً أو شهرة. وقد حرص على تقديم اسم المترجم، ونسبه، وكنيته، وشيوخه وتلاميذه، ومكانته العلمية، ومؤلفاته. ومعتقدده ومذهبه، وأحياناً طرفاً من أقواله أو شعره، ثُمَّ خَتَمَ الترجمة بوفاته. وقد أشار بشار عواد إلى أن الدَّهْبِيَّ راعى الاختصار دون الإخلال، وجمع بين النقد التاريخي الحديثي، مع اهتمام خاص بأصحاب الرواية والعلم، مما جعل عمله موسوعياً فريداً في بابهِ (عواد، مقدمة سير أعلام النبلاء 31/1،، 1417هـ/1997م).



- خاتمة:

قبل أن نعرض أهمّ النتائج التي خلصت إليها الدراسة، يجدر بنا أن نشير إلى أن تتبع منهج الحافظ الذهبي في "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" قد كشف عن عمق تجربته في الكتابة التاريخية، وعن تميز رؤيته في الجمع بين السردية التاريخية والتحليل والنقد للروايات التي تضمنتها المصادر السابقة له. ومن خلال هذا التتبع أمكن الوقوف على مجموعة من الملاحظات والمترتيزات التي توضح أسس منهجه ومقاصده العلمية في كتابة التاريخ الإسلامي، ومن هذه الملاحظات ما يلي:

1. لم يكن الذهبي مجرد ناقل للأخبار، بل مارس دوراً نقدياً، فكان يُعلّق، ويُوازن، ويميز بين الصحيح والضعيف من الروايات.
2. جمع بين سرد الحوادث والوقائع بشكل تسلسلي حوّل وتراجم الأعلام، مما جعل كتابه موسوعة شاملة للتاريخ الإسلامي عبر سبعة قرون متواصلة.
3. التزم بتسلسل زمني صارم في ترتيب الحوادث والوفيات سنة بسنة، مما سهّل تتبع تطوّر الحوادث.
4. شملت تغطية جميع الأقاليم الإسلامية، دون الاختصار على مركز واحد، فغطى أخبار الشرق والغرب، والمركز المهمش.
5. وظف أدوات المحدثين في التوثيق، فتناول الرجال بأحكام الجرح والتعديل، مما أضاف علميه على النقل.
6. تحلى بالإنصاف، فذكر مناقب من يختلف معهم، وانتقد من ينتسب إلى طائفته إن أخطأ. بعيد عن التعصب.
7. استخدم أسلوباً موجزاً وسلساً، دون تكلف بلاغي، مما جعل كتابه سهل التناول للباحثين والقراء.



البيبلوغرافيا:

- 1-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (2003). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (تحقيق بشار عواد معروف). دار الغرب الإسلامي.
- 2-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (د.ت). العبر في خبر من غير (تحقيق إبراهيم محمد السعيد بن بسيوني زغلول). دار الكتب العلمية.
- 3-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (1990). معجم الشيوخ (تحقيق وتعليق روحية عبد الرحمن السيوفي). دار الكتب العلمية.
- 4-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (1997). معرفة القراء على الطبقات والأعصار. دار الكتب العلمية.
- 5-السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي. (1413هـ). طبقات الشافعية الكبرى (تحقيق محمود محمد الطناحي). هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 6-السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. (2017). الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (تحقيق سالم بن غتر بن سالم الظفيري). دار الصميعي.
- 7-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (1998). ذيل طبقات الحفاظ للذهبي (وضع حواشيه زكريا عميرات). دار الكتب العلمية.
- 8-الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (2000). الوافي بالوفيات (تحقيق أحمد الأرناؤوط & تركي مصطفى). دار إحياء التراث العربي.
- 9-الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (2007). نكت الهميان في نكت العميان. دار الكتب العلمية.
- 10-ابن عماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد. (1987). شذرات الذهب في أخبار من ذهب (تحقيق محمود الأرناؤوط). دار ابن كثير.
- 11-ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (د.ت). البداية والنهاية. مطبعة السعادة.
- 12-النعمي، عبد القادر بن محمد. (1990). الدارس في تاريخ المدارس (تحقيق إبراهيم شمس الدين). دار الكتب العلمية.
- 13-ميو، أنور أحمد. (2025). الحافظ الإمام الذهبي وفكره النقدي: قراءة منهجية تأصيلية في كتابه سير أعلام النبلاء (الإصدار الثاني).



- 14-معروف، بشار عواد. (1976). الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- 15-معروف، بشار عواد. (1993). مقدمة سير أعلام النبلاء. مؤسسة الرسالة.
- 16-الخراشي، سليمان بن صالح. (1994). عقيدة الإمام الذهبي. الدار الأثرية.
- 17-مصطفى، شاك. (1993). التاريخ العربي والمؤرخون. دار العلم للملايين.
- 18-الضاري، سليمان حارث. (1985). الإمام الزهري وأثره في السنة. مكتبة بسم.
- 19-عاشور، عبد الفتاح. (1976). العصر المملوكي في مصر والشام (الطبعة الثانية). دار النهضة العربية.
- 20-الشيخ، عبد الستار. (1994). الحافظ الذهبي: مؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين، إمام المعدلين والمجروحين. دار القلم.
- 21-صغير، عمر مكي. (2009). النقد الحديث عند الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام.
- 22-روزنتال، فرانز. (1983). علم التاريخ عند العرب (ترجمة صالح أحمد العلي). مؤسسة الرسالة.
- 23-سعد، قاسم. (1986). صفحات في ترجمة الحافظ الذهبي. دار البشائر الإسلامية.
- 24-Lewis, B. (2003). The Assassins: A radical sect in Islam (2nd impression). Phoenix

- Al-Bibliography :

- 1-al-Dhahabī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān. (2003). Tārīkh al-Islām wa-wafayāt al-mashāhīr wa-al-a‘lām (Taḥqīq Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf). Dār al-Gharb al-Islāmī.
- 2-al-Dhahabī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān. (n.d.). al-‘Ibar fī khabar man ghabar (Taḥqīq Ibrāhīm Muḥammad al-Sa‘īd ibn Basyūnī Zaghlūl). Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya.
- 3-al-Dhahabī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān. (1990). Mu‘jam al-shuyūkh (Taḥqīq wa-ta‘līq Ruḥiyya ‘Abd al-Raḥmān al-Suyūfī). Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya.



- 4-al-Dhahabī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn 'Uthmān. (1997). Ma'rifat al-qurrā' 'alā al-ṭabaqāt wa-al-a'sār. Dār al-Kutub al-'Ilmiyya.
- 5-al-Subkī, Tāj al-Dīn 'Abd al-Wahhāb ibn 'Alī. (1413 AH). Ṭabaqāt al-Shāfi'iyya al-kubrā (Taḥqīq Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī). Hajar li-l-Ṭibā'a wa-al-Nashr wa-al-Tawzī'.
- 6-al-Sakhāwī, Muḥammad ibn 'Abd al-Raḥmān. (2017). al-I'lān bi-al-tawbīkh li-man dhamm al-tārīkh (Taḥqīq Sālim ibn Ghattar ibn Sālim al-Zufayrī). Dār al-Ṣumay'ī.
- 7-al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn 'Abd al-Raḥmān. (1998). Dhayl Ṭabaqāt al-ḥuffāz li-al-Dhahabī (Ḥawāshī Zakariyyā 'Umayrāt). Dār al-Kutub al-'Ilmiyya.
- 8-al-Ṣafadī, Ṣalāḥ al-Dīn Khalīl ibn Aybak. (2000). al-Wāfi bi-al-wafayāt (Taḥqīq Aḥmad al-Arnā'ūt & Turkī Muṣṭafā). Dār Ihya' al-Turāth al-'Arabī.
- 9-al-Ṣafadī, Ṣalāḥ al-Dīn Khalīl ibn Aybak. (2007). Nakt al-himyān fī nakt al-'umyān. Dār al-Kutub al-'Ilmiyya.
- 10-Ibn 'Imād al-Ḥanbalī, 'Abd al-Ḥayy ibn Aḥmad. (1987). Shadharāt al-dhahab fī akhbār man dhahab (Taḥqīq Maḥmūd al-Arnā'ūt). Dār Ibn Kathīr.
- 11-Ibn Kathīr, Ismā'īl ibn 'Umar. (n.d.). al-Bidāya wa-al-nihāya. Maṭba'at al-Sa'āda.
- 12-al-Nu'aymī, 'Abd al-Qādir ibn Muḥammad. (1990). al-Dāris fī tārīkh al-madāris (Taḥqīq Ibrāhīm Shams al-Dīn). Dār al-Kutub al-'Ilmiyya.
- 13-Mayū, Anwar Aḥmad. (2025). al-Ḥāfiẓ al-imām al-Dhahabī wa-fikruhu al-naqdī: Qirā'a manhajīyya ta'sīliyya fī kitāb Siyar a'lām al-nubalā' (2nd ed.).
- 14-Ma'rūf, Bashshār 'Awwād. (1976). al-Dhahabī wa-manhajuhu fī kitābihi Tārīkh al-Islām. Maṭba'at 'Isā al-Bābī al-Ḥalabī wa-shurakā'ih.
- 15-Ma'rūf, Bashshār 'Awwād. (1993). Muqaddimat Siyar a'lām al-nubalā'. Mu'assasat al-Risāla.
- 16-al-Khurāshī, Sulaymān ibn Ṣāliḥ. (1994). 'Aqīdat al-imām al-Dhahabī. al-Dār al-Athariyya.



- 17-Muṣṭafā, Shākīr. (1993). al-Tārīkh al-‘Arabī wa-al-mu’arrikhūn. Dār al-‘Ilm li-al-Malāyīn.
- 18-al-Ḍārī, Sulaymān Ḥārith. (1985). al-Imām al-Zuhrī wa-atharuhu fī al-sunna. Maktabat Bassām.
- 19-‘Āshūr, ‘Abd al-Fattāḥ. (1976). al-‘Aṣr al-Mamlūkī fī Miṣr wa-al-Shām (2nd ed.). Dār al-Nahḍa al-‘Arabiyya.
- 20-al-Shaykh, ‘Abd al-Sattār. (1994). al-Ḥāfiẓ al-Dhahabī: Mu’arrikh al-Islām, nāqid al-muḥaddithīn, imām al-mu‘addilīn wa-al-majrūḥīn. Dār al-Qalam.
- 21-Ṣaghīr, ‘Umar Makkī. (2009). al-Naqd al-ḥadīthī ‘inda al-Dhahabī fī kitābihi Tārīkh al-Islām.
- 22-Rosenthal, Franz. (1983). ‘Ilm al-tārīkh ‘inda al-‘Arab (Trans. Ṣāliḥ Aḥmad al-‘Alī). Mu’assasat al-Risāla.
- 23-Sa’d, Qāsim. (1986). Ṣafaḥāt fī tarjamat al-Ḥāfiẓ al-Dhahabī. Dār al-Bashā’ir al-Islāmiyya.